جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

استراتيجية الحجاج فى القرآن الكريم (دراسة فى العوامل والروابط الحجاجية)

الدكتورة

هند رأفت

المدرس بآداب عين شمس - قسم اللغة العربية
جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م
الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

استراتيجية الحجاج فى القرآن الكريم
(دراسة فى العوامل والروابط الحجاجية)

هند رأفت

قسم اللغة العربية ـ كلية آداب ـ جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : dr.hend.raafat@gmail.com

الملخص

لعل من أهم النتائج التى خلصت إليها هذه الدراسة هى ، أن القرآن الكريم يحتوى على العديد من العوامل و الروابط الحجاجية ؛ فالعوامل تتصل بالبنية الكلية للنص، بينما تنتمى الروابط إلى البنية الداخلية للنص وما يتصل بها من الوظائف التركيبية والنحوية.

والعوامل الحجاجية فى النص القرآنى الكريم ، تنتمى إلى ما يسمى المناسبة المعنوية عند القدماء من علماء المناسبة ، والمناسبة المعنوية هى تلك المناسبة التى تشير إلى أشكال الترابط بين البنيات الكلية مثل الترابط بين السور وبعضها البعض، أو ترابط مجموعة من الآيات مع مجموعة أخرى.

ومن العوامل الحجاجية فى القرآن الكريم اتصال سور خواتيم القرآن المبدوءة بالفعل (قل) مع بعضها البعض من خلال أساليب متعددة مثل : أسلوب المزاوجة بين النفى والإثبات ، وأسلوب البدء بالتعميم ثم الاتباع بالتخصيص وأسلوب التفصيل بعد الإجمال وأسلوب المضادة.

ومن العوامل الحجاجية أيضا اتصال فاتحة سورة الأعراف مع خاتمتها من خلال كل من أسلوب الإيماء وأسلوب التنظير، كذلك من العوامل الحجاجية اتصال خواتيم الكتاب عبر السور المبدوءة بفعل الأمر (قل) بفاتحة الكتاب من خلال تقنية الرد على مقول القول.

أما فيما يخص الروابط الحجاجية فى النص والتى تمثلت فى مجموعة الأدوات النحوية التى تحولت بفعل السياق إلى أدوات حجاجية ، فقد جاءت فى صورة روابط مفردة، وروابط مركبة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن الروابط الحجاجية المفردة: حرف اللام الوارد للتعليل الحجاجى، وحرف الواو الحجاجى فى الجمل المذيلة للآيات، والحرف الناسخ (إنّ) منفردا، الذى أفاد معنى حجاجيا كذلك .

ومن المركبات الحجاجية ؛ المركبات الحجاجية الفعلية مثل: الحرف الناسخ (أنّ) المتصل بالفعل المضارع (أعلم)، إلى جانب حرف التحقيق (قد) المتصل بالفعل المضارع (نرى) والذى اتصل أيضا بالفعل الماضى (سمع) .

والمركبات الحجاجية الاسمية مثل: الحرف الناسخ (إن) المتصل بـــ (ما) ، و اسم الإشارة المتصل بحرف الجر الكاف (كذلك) واسم الإشارة المتصل بالجار والمجرور فى المركب الإضافي التعليلى (من أجل ذلك).

الكلمات المفتاحية : الحجاج – العوامل الحجاجية – الروابط الحجاجية – المركبات الحجاجية – البنيات الكلية .

The strategy of argument in the Holy Quran
(Study of persuasive factors and links)

Hind Raafat
Faculty of Arts , Ain Shams University, Arabic department, Arab Republic of Egypt.
Email: dr.hend.raafat@gmail.com

Abstract

One of the most important results of this study is that The Holy Quraan contains many factors and links. The persuasive factors relates to the overall structure of the text ,while the persuasive links relate to the internal structure of the text which related to the structural and grammatical functions.

Among the persuasive factors in the Holy Quran , Suras start with the verb(say) is reduced with each other through the style of mixing exile and proof ,the style of starting generalization and then following the assignment ,the style of detailing after the totality , and the contrast style.

Among the persuasive factors also is the connection of the beginning of Surat Al-Aaaraf to its end through the styles of nodding and theorizing.

Also of the persuasive factors is the connection Suras start with the verb (say), was reduced to the Al-Fatihah through the action – response technique.

As for the persuasive links in the Holy text , they are represented in the grammatical tools ,which were transformed by the context into persuasive tools. It has been devided into single and compound links.

Among the single persuasive links is the letter (Lam) mentioned for the persuasive explanation ,the letter (waw) mention for the persuasive explanation and the transcription letter.

Among the compound links is the transcript letter (that) connected to the present tense (know), the emphasis letter connected to the present tense (see)and the past tense (hear).

Also the compounds links is the transcript letter (that) connected to the tool (what) and the persuasive compound link (for that).

Keywords : Strategy of argument – Persuasive factors – Persuasive links – Argumentative compounds – Major structures .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن القرآن الكريم يمثل نصا حجاجيا فى المقام الأول بوصفه يحمل قصدا لإقناع المتلقى بأسباب الألوهية والتوحيد ، وتعد دراسة الروابط والعوامل الحجاجية فى القرآن الكريم إحدى أدوات الكشف عن آليات الحجاج اللغوى فى القرآن الكريم

والحجاج اللغوى هو وليد (نظرية الحجاج فى اللغة) التى قدمها العالم الفرنسى ديكرو و زميله انسكومبر؛ حيث ربطا الحجاج بالوظيفة اللغوية مع تعميم هذا المفهوم على جميع أنماط اللغة .

وعلى هذا يصبح الحجاج هو الوظيفة الأساسية للغة " التى يتوافر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ثم إنه ينطلق من الفكرة الشائعة التى مؤداها أننا نتكلم عادة بقصد التأثير"(١)

وقد قام ديكرو بدراسة اللغة بوصفها نسقا حجاجيا فى المقام على مستويين:

" المستوى الأول خارجى: وذلك كيف يمثل النص فى كليته حجة، المستوى الثانى داخلى: وذلك كيف تمثل الحجاج فى العوامل والروابط الحجاجية"(٢).

---

(١) العزاوى ، أبوبكر/اللغة والحجاج /العمدة فى الطبع/ المغرب/٢٠٠٦م /ط١ / صـ١٤

(٢) مليكة ، غبار/ الحجاج فى درس الفلسفة الحديثة / دار إفريقيا الشرق / المغرب / ٢٠٠٦م / ط١/ صـ٥٣ـ

وتبعا لهذه النظرية فإن الحجاج هو : " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل فى إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج فى إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التى تستنتج منها " [١] .

منهج الدراسة والهدف منها:

آثرت الدراسة استخدام المنهج التداولى المدمج فى الدلالة من خلال الجمع بين دراسة التراكيب والدلالات والتداوليات بهدف استقصاء النماذج الحجاجية محل البحث ، فى محاولة للكشف عن أنماط الحجاج التداولى من خلال البحث فى مفهومى العوامل والروابط الحجاجية لدى ديكرو وانسكومبر.

حيث إن " دراسة الحجاج فى الخطاب اللفظى هو شأن التداولية ، ولهذا الاعتقاد ما يبرره إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجى يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقى ، بعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجى تبرز فيه مكانة القصدية والتأثر والفعالية وبالتالى قيمة ومكانة أفعال الذوات المخاطبة "[٢] .

---

(١) العزاوى ، أبو بكر/ اللغة والحجاج / صـ١٦

(٢) إعراب ، حبيب / الحجاج والاستدلال الحجاجى / مجلة عالم الفكر/ العدد١ / مج ٣٠/٢٠٠١/صـ١٠١

(٣) المبخوت ، شكرى/ نظرية الحجاج فى اللغة / ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم / إشراف حمادى صمود / منوبة تونس / مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية /١٩٨٨ م /ط١/صـ٣٥١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد اهتم اصحاب نظرية الحجاج فى اللغة بالمنهج " التداولى المدمج فى الدلالة فيكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة فى أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها " .

وقد اخترت عينة الدراسة من نماذج متفرقة من الآيات القرآنية أو السور القصيرة إذ إن البحث لا يهدف إلى استقصاء الظاهرة فى النص كله إذ ينطلق من رؤية نظرية تأتى النماذج المطبق عليها بمثابة الشواهد التى تتوفر فيها الظواهر التى تهتم بها الدراسة.

الدراسات السابقة:

لا شك أن هناك الكثير من الدراسات العربية الحديثة التى تناولت مفهوم الحجاج وتطبيقاته بالدراسة ، وخصوصا فيما يتصل بدراسة الروابط والعوامل الحجاجية ومنها:

١. اللغة والحجاج ، أبوبكر العزاوى ، العمدة فى الطبع ، المغرب، ٢٠٠٦م ، ط ١ .
٢. العوامل الحجاجية فى اللغة العربية ، عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع ، تونس ، ٢٠١١ ، ط١.
٣. العوامل الحجاجية فى شعر البردونى (النفى أنموذجا) ، ألطاف إسماعيل الشامى ، أستاذ اللسانيات فى جامعة تعز ، مجلة كلية العلوم الإسلامية (علمية فصلية محكمة) ، جامعة بغداد ، العدد٤٣ ، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥م.
٤. وسائل وآليات الحجاج فى كتاب (فيض الخاطر) لأحمد أمين ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه فى اللغويات التطبيقية ، إعداد: بدر بن على العبد القادر، إشراف : ا.د/ محمد يوسف حبلص ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥م .

٥.العوامل الحجاجية فى آيات الأحكام ، ا.د عايد جدوع حنون ، ثائر عمران، مجلة أوروك ، مجلة أكاديمية عراقية ، جامعة المثنى ، كلية التربية ، المجلد التاسع ، العدد الرابع ، ٢٠١٦م .

وأشير فى هذا المقام إلى أن الدراسات السابقة فى العوامل والروابط الحجاجية فى القرآن الكريم أو فى غيره ، قد تابعت العزاوى فى نموذجه التطبيقى ، بوصفه أول من ترجم نظرية الحجاج فى اللغة إلى العربية مع تطبيقها على نماذج لغوية عربية فى كتابه (اللغة والحجاج) .

وعلى هذا نلاحظ أن أغلب الدراسات قد حصرت الروابط الحجاجية فى مجموعة الروابط التى تحدث عنها العزاوى فى كتابه ، ومن هنا فقد حاولتُ فى هذه الدراسة التوسع فى مفهوم الروابط .

ومن هنا امتدت الدراسة لتتلمس المعنى الحجاجى فى عدد أكبر من الروابط ، كماقسمت الروابط إلى روابط مفردة والتى يمثلها الرابط المفرد أو الأداة النحوية المفردة التى تتطور عملها فى السياق لتحمل معنى حجاجيا ، وروابط مركبة والتى يمثلها تراكيب لغوية خاصة تحمل دلالة حجاجية مثل الجار والمجرور مع اسم الإشارة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العوامل والروابط الحجاجية فى القرآن الكريم

تستلهم هذه الدراسة – كما سبق أن أشرت – المصطلح الذى جاءت به نظرية الحجاج فى اللغة لدى ديكرو وانسكومبر والذى يختص بتحديد مفهومى العوامل والروابط الحجاجية ثم محاولة الكشف عن هذه الروابط والعوامل فى القرآن الكريم.

و العوامل فى هذه النظرية تشير إلى "ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر و النفى أو مكونات معجمية تحيل فى الغالب"(١) إلى الحجاج.

أما الروابط فهى : " ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناء والواو والفاء ولكن وإذن " (٢).

واستلهاما من هذه النظرية، فإنه تبعا لما تقتضيه طبيعة اللغة العربية، فإنه يمكن أن نحدد العوامل الحجاجية بوصفها مجموعة الأساليب الخاصة التى تحيل إلى وظيفة حجاجية.

كما يمكن أن نحدد الروابط الحجاجية بوصفها الأدوات النحوية التى استحالت إلى أدوات حجاجية بما تفرضه ضوابط السياق.

وأشير إلى أن هذا الفهم يتفق مع ما جاء عند القدماء من العلماء العرب فى علم المناسبة ؛ وهو العلم الذى يعنى ببيان المناسبة بين سور القرآن الكريم؛ حيث تحدث السيوطى عن أشكال الالتحام والترابط بين أجزاء القرآن الكريم بوصفه كلا واحدا.

فجاء حديثه عن المناسبة المعنوية والمناسبة الظاهرة، وهذه المناسبة بنوعيها يمكن تصنيفها بالفهم السابق تحت مسمى العوامل الحجاجية.

---

(١) المبخوت ، شكرى / نظرية الحجاج فى اللغة / صـ٣٦٠-٣٦١

(٢) نفسه / صـ ٣٦١

أولا: العوامل الحجاجية

وتأسيسا على ماسبق فإن علم المناسبة عند القدماء هو ذلك العلم الذى يختص بنحو النص القرآنى الكريم وكيفية اتصال و ترابط أجزائه، على مستوى السور التى يتكون منها لا على مستوى الجملة.

حيث ترتبط العوامل الحجاجية بالمؤشرات الكلية فى بنية النص والدالة على ترابط أجزائه، ومن هنا اتصلت بعلم المناسبة بوصفه أحد علوم التفسير التى تختص بترابط أجزاء النص الكريم عبر هذه المؤشرات الكلية.

وقد عرف القدماء علم المناسبة بأنه "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعانى لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه، على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها"(١).

ولعلنا نلاحظ أن ما جاء فى تعريف علم المناسبة، من مطابقة المعنى لمقتضى الحال، إنما يشير إلى علاقة علم المناسبات بالمقام، وأن المقام هو المعول عليه فى تفنيد وتوجيه هذا العلم، وهو ما يدخله فى إطار الدراسات التداولية الحديثة.

وقد نص السيوطى على الأشكال المختلفة التى يختص بها علم المناسبة بقوله: "المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلى أو حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه.

---

(١) الغرناطى ، ابن الزبير / البرهان فى ترتيب سور القرآن / ت: سعيد بن جمعة الفلاح / دار ابن الجوزى / الرياض / ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م / ط١ / صـ٧١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض... فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[١].

وقال ابن عربى عن المناسبة إنها "ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى"[٢].

وعلى هذا فقد قسم السيوطى المناسبة إلى عقلية وحسية وخيالية، وسببية وعلية، ومتناظرة ومتضادة.

وقد فصل السيوطى أكثر فى أشكال المناسبة عندما ميز بين قسمى علم المناسبة إلى مناسبة ظاهرة ومناسبة معنوية؛ على أساس أن المناسبة تمثل طريقة اتصال السور بعضها ببعض ، ومن ثم قسم السيوطى هذا الاتصال إلى اتصال ظاهرى ومعنوى ، والاتصال الظاهرى بين الآيات هو: تعلق " الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه... وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه،التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل"[٣] ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه بالمصطلح الحديث العامل الحجاجى الظاهر.

أما الاتصال المعنوى : فيشير إلى عدم تعلق الآيات بعضها ببعض على الوجه الظاهر، ولكن مع التدقيق، يتبين ارتباط بعضها ببعض من خلال "قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب بين الآيات"[٤] ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه العامل الحجاجى المعنوى.

---

(١) السيوطى ، جلال الدين / الإتقان فى علوم القرآن / دار الفكر / بيروت / ١٣٣٩ه - ١٩٧٩م / ط١/ صـ ٨٤

(٢) نفسه / صـ ٨٤

(٣) نفسه / صـ٨٥

(٤) السيوطى ، جلال الدين / الإتقان فى علوم القرآن / صـ٨٥

وبناء على ماسبق فإن علم المناسبة لاختصاصه بعلم نحو النص والدلالة الكلية فى النص، يصلح لتحليل النصوص اللغوية على المستوى الكلى وليس النص القرآنى الكريم فقط، وإن كان القدماء حصروه فى دراسة القرآن.

مع ملاحظة أيضا أن ما أطلق عليه ديكرو وانسكومبر مصطلح العوامل الحجاجية بالفهم الحديث على ما سبق أن أشرنا ، هو ما أطلق عليه السيوطى مصطلح الروابط ؛ وهذا هو محل الاختلاف فى المصطلح بين القدماء والمحدثين .

العوامل الحجاجية فى القرآن الكريم :

تكمن العوامل الحجاجية فى القرآن الكريم فى خصيصة المناسبة المكتنة بين سور القرآن بعضها ببعض ؛ حيث قسم العلماء العرب المناسبة إلى المناسبة بين "فواتح السور وخواتمها"[١]، والمناسبة بين "فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظا "[٢].

والملاحظ أن المناسبة بهذا الفهم الذى يشير إلى مواطن الاتصال بين السور، إنما تدخل فى إطار ما أطلق عليه السيوطى المناسبة المعنوية لأن المناسبة المعنوية تختص بالاتصال الكلى بين الكليات الكبرى لا الجمل.

ومن هنا فإن المناسبة المعنوية تكون أليق وأشبه بما أطلق عليه أصحاب نظرية الحجاج فى اللغة ، العوامل الحجاجية.

بينما تتصل المناسبة الظاهرة بالترابط بين الكلمات وبعضها البعض؛ فتكون المناسبة الظاهرة أليق بمفهوم الروابط الحجاجية بالفهم الحديث من وجهة نظر الباحثة.

---

(١) الغرناطى ، ابن الزبير/ البرهان ف ترتيب سور القرآن / صـ٧١
(٢) نفسه / صـ٧١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العامل الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر (قل)

أ. المزاوجة بين النفى والإثبات

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن ثمت مناسبة معنوية بين سورتى الإخلاص والتوحيد التى تبدأ كل منهما بفعل الأمر(قل)؛ ذلك أن المفسرين قد رأوا أن سورتى الكافرون و الإخلاص، تتصل إحداهما بالأخرى اتصالا قويا.

قال تعالى فى سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾، وفى سورة الكافرون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

حيث قيل فى سورة الإخلاص " إنها متصلة بقل يا أيها الكافرون فى المعنى، فهما بمنزلة كلمة التوحيد فى النفى والإثبات، ولذا يسميان المقشقشتين، وقرن بينهما فى القراءة فى صلوات كثيرة، ما قاله بعض الأئمة كركعتى الفجر والطواف والضحى وسنة المغرب وصبح المسافر ومغرب يوم الجمعة"(١).

والمقشقشة من "قشقش المريض إذا صح وبرأ، أى المبرئة من الشرك والنفاق"(٢).

ولعلنا نلاحظ أن العامل الحجاجى الذى يربط بين السورتين يكمن فى المزاوجة بين النفى والإثبات على أساس أن كلا من أسلوبى النفى والإثبات يمثل أسلوبا لغويا يقصد إلى الإقناع بمفهوم التوحيد وعدم الشرك فى الألوهية .

---

(١) الألوسى ، محمود بن عبدالله /روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى/ ت: على عبدالبارى/ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٥ه – ١٩٩٤م / ط١ / ج١٥ صـ٥٠٤
(٢) نفسه / ج١٥صـ٤٨٤

ذلك أن سورة الكافرون تثبت دلالة التوحيد عن طريق النفى، وسورة الإخلاص تثبت دلالة التوحيد عن طريق الإثبات.

والعامل الحجاجى هنا ليس ظاهرا إذ إن المزاوجة بين النفى والإثبات هنا لا تخضع للنسق اللفظى المباشر بقدر ما تخضع لآلية المعنى غير المباشر ؛ فالنفى والإثبات هنا قد جاءا من طريق غير مباشر على أساس أن ألفاظ النفى فى سورة الكافرون (لا أعبد / ولا أنتم عابدون / ولا أنا عابد) تختلف عن ألفاظ الإثبات فى سورة الإخلاص (هو الله أحد / الله الصمد) .

ولعلنا نلاحظ أن السورتين يمثلان وجهين لعملة واحدة ؛ فعلى حين عنون القدماء لسورة الإخلاص بهذا العنوان (سورة الإخلاص) فى كتب التفسير وهو أمر أشهر من أن يحصى ، فإن القدماء قد أطلقوا على سورة الكافرين " سورة البراءة "[١] يقصدون البراءة من الشرك، كما رأوا أنها " آمرة بالإخلاص"[٢]، وهو ما يعد من أسباب الترابط الحجاجى بين السورتين.

وقد رأى المفسرون أن الأمر الموجه بالفعل (قل) فى قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ " يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله تعالى هذه السورة وأمر رسوله فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية " [٣] .

---

(١) ابن كثير، الحافظ عماد الدين / تفسير القرآن العظيم / دار التقوى / القاهرة / ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م ط١/ج٤صـ٦٤٨

(٢) نفسه / ج٤صـ٦٤٨

(٣) نفسه / ج٤ صـ٦٤٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعلنا نلاحظ التدرج فى الإقناع فى سورة (الكافرون) من خلال التدرج فى النفى الذى اعتمدت عليه السورة الكريمة من الأدنى إلى الأعلى؛ إذ إن المراد من النفى بالفعل فى قوله تعالى (لا أعبد) نفى مجرد الفعل .

ثم تدرج من النفى بالفعل إلى النفى باسم الفاعل (لا أعبد) لبيان نفى الشرك بالكلية " لأن النفى بالجملة الفعلية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ، ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعى أيضا " (١).

فيكون النفى بالفعل دالا على نفى الحدث بينما النفى بالاسم دالا على نفى إمكانية الحدوث .

أما سورة الإخلاص فقد حملت فى سبب نزولها نفى عبادة غير الله عزوجل ، فما جاء فى سورة الكافرون لفظا ظاهرا ، جاء فى سورة الإخلاص بوصفه مرجعية خاصة بأسباب النزول وهذا يعد أيضا من أسباب الترابط الحجاجى بين السورتين.

حيث قيل إن اليهود قالوا " نحن نعبد عزير ابن الله وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقال المشركون نحن نعبد الأوثان ، فأنزل الله تعالى على رسوله ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يعنى هو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل" (٢).

(١) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / ج٤ صـ٦٤٩
(٢) نفسه / ج٤ صـ٦٦٠

ب. البدء بالتعميم ثم الاتباع بالتخصيص

نستطيع أن نتبين عاملا حجاجيا آخرا يمثل أحد أشكال الترابط الحجاجى بين سور الخواتيم المبدوءة بفعل الأمر(قل) ، وهو البدء بالتعميم ثم الاتباع بالتخصيص.

ويكمن ذلك العامل الحجاجى فى الترابط الحجاجى بين سورتى الفلق و الناس، حيث بدأ القرآن الكريم بالعموم المتمثل فى سورة الفلق ، قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ حيث " بدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص، ليكون أبلغ فى تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود"(١)

"ألا ترى عموم قوله تعالى ﴿مِنْ شَرِ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق/ ٢) وإبهام (ما) "(٢)، ثم تخصيص ما استعيذ من شره فى سورة الناس، بقوله تعالى ﴿مِن شرِّ الوَسوَاسِ الخَنَّاسِ﴾ (الناس/ ٤) (٣)

ذلك أن ما جاء مضمنا فى سورة الفلق من الإشارة إلى الشيطان ، جاء منصوصا عليه فى سورة الناس ؛ فالنفاثات فى العقد وهن الساحرات إنما يستخدمن الشيطان فى سحرهن ، كذلك فإن الحاسد يستخدم الشيطان الذى يحضر العين فى أذى ابن آدم .

فما جاء مكنيا عنه فى سورة الفلق فى قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ، جاء ظاهرا ومباشرا فى

---

(١) الغرناطى ، ابن الزبير /البرهان فى ترتيب سور القرآن / صـ٣٨٥- ٣٨٦
(٢) نفسه / صـ ٣٨٥
(٣) نفسه / صـ ٣٨٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

سورة الناس وهو قوله تعالى ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ ، وهو من أسباب الترابط بين السورتين ؛ الأمر الذى يمثل عاملا حجاجيا يربط بينهما ، إذ تم الاحتجاج فى السورتين للاستعاذة من الشرور بذات الله عزوجل على ما وضحنا من أسباب التداخل بين السورتين .

ج. التفصيل بعد الإجمال

كذلك فإن من العوامل الحجاجية بين السورتين أنهما تمثلان تفصيلا بعد إجمال ؛ ذلك أن الاستعاذة فى سورة الفلق كانت بالنظر إلى مقام الربوبية فقط، أما فى سورة الناس فإن " توسل العائذ بربه وانتسابه إليه بالمربوبية والمملوكية والعبودية " [١]، بالنظر إلى صفاته جل وعلا أنه رب الناس و ملك الناس و إله الناس.

ولعلنا نلاحظ التناظر بين السورتين حيث جعلت سورة الفلق (رب الفلق) ملجأ للاستعاذة من أربعة مستعاذات بينما جعلت سورة الناس الثلاث صور من صور الربوبية ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ ملجأ من مستعاذ واحد وهو الشيطان الرجيم أو الوسواس الخناس.

د. المضادة

والمضادة هى "جامع وهمىّ بالتضاد" [٢]، ويقصد السيوطى بالجامع الوهمىّ، التضاد غير المباشر، بمعنى مقابلة حال بحال ومقام بمقام بحيث لا يكون التضاد بين لفظين مخصوصين كأن يكون بين اسم واسم، كما هو بين لفظىّ الجنة والنار، وقد جعل السيوطى من ذلك قوله تعالى﴿إن الذين كفروا

(١) الغرناطى ، ابن الزبير /البرهان فى ترتيب سور القرآن / ص٣٨٥
(٢) السيوطى ، جلال الدين / الاتقان فى علوم القرآن / صـ ٨٥

سواء عليهم ﴾ (البقرة / ٦)، " فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأن الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين"(١)

ويمكن القول إن المضادة من العوامل الحجاجية بين سورتى الفلق والناس، إذ إن السورتين توضحان المضادة بين مقام الألوهية ومقام العبودية من خلال فعل الاستعاذة " لأن العوذ والعياذ فى اللغة هو الالتجاء إلى الغير"(٢)

وهو أليق بمقام العبودية لأنها مقام احتياج ثم تكتمل المضادة بذكر مقام الربوبية الذى تعلق به فعل الاستعاذة، " وذلك لأن المربوب لا يستغنى فى شئ من حالاته عن الرب كما يشاهد فى الطفل مادام مربوبا "(٣) فجاء ذكر اسم الرب للدلالة على اختلاف المقامين، حيث لم يأت التضاد بين المقامين من خلال علاقة تضاد مباشرة وإنما من خلال تعلق لفظ الرب بفعل الاستعاذة.

العامل الحجاجى بين فاتحة سورة الأعراف وخاتمتها

ا. الإيماء

لم ينص القدماء مباشرة على أن الإيماء من المناسبات المعنوية بين السور، ولكن ألمح إلى ذلك إلماحا صاحب كتاب نظم الدرر، حيث جاء الإيماء من خلال تمثيل حال بحال من خلال قوله تعالى ﴿ سَاءَ مَثَلا ٱلقَومُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ (الأعراف/ ١٧٧) إذ تحدث القرآن الكريم فى بداية

(١) نفسه / صـ ٨٥
(٢) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج١٥ صـ٥١٨
(٣) نفسه / ج١٥ صـ ٥١٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القصص فى سورة الأعراف عن قصة إبليس ثم قصص بنى اسرائيل وما كان لهم من سوء العاقبة .

ثم مثل حالهم بحال المخالفين للنبى محمد من كفار عصره، وفى هذا احتجاج عليهم بأنهم سيلاقون نفس المصير من الخذلان والدمار؛ حيث بدأت السورة بالأمر الموجه للنبى بدعوة قومه لاتباع القرآن وأن لا يكن فى صدره حرج من ذلك ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ (الأعراف / ٢)، ثم احتج عليهم فى خاتمة السورة بأن سبب دعوة النبى لهم كانت لكى لا يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة ، وأنهم لن يجدوا لهم وليا ولا نصيرا فى حال معصيتهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٧﴾ (الأعراف/١٩٧)

ب. التنظير

والتنظير هو إلحاق الشبيه بشبيهه فإن "إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء"[١] والتنظير الحجاجى، يتضح من خلال بنية القصص فى سورة الأعراف؛ ذلك أن بنية القصص فى سورة الأعراف قد افتتحها القرآن الكريم " بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما كفر على علم"[٢].

فتحدث القرآن الكريم عن كيفية كفر إبليس بالله عزوجل، وكان كفره لظنه بخيريته وأحقيته بالتفوق على آدم عليه السلام وكان ذلك من خلال

(١) السيوطى ، جلال الدين / الإتقان فى علوم القرآن / صـ ٨٦
(٢) البقاعى ، إبراهيم بن عمر / نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور/ دار الكتاب الإسلامي / القاهرة / ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م / ط١ / ج٧ صـ ٣٥٢

الاحتجاج الخاطئ بأن النار خير من الطين، وإبليس من النار وآدم من الطين فيكون إبليس خير من آدم.

ثم اختتمت بنية القصص بقصة (بلعام) الذى كفر على علم مثله فى ذلك مثل ابليس، قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ (الأعراف/١٧٥)، فكان التنظير الحجاجى هنا هو الجامع بين افتتاح بنية القصص بإبليس واختتامها ببلعام، هو أن كل منهما قد كفر على علم، فأصبح بذلك يشبه الكلب الذى يلهث فى كل حالاته، فالعلم لم يغير من حالهم شيئا.

ويروى أن بلعام بن عوراء كان رجلا مستجاب الدعوة وكان من مدينة الجبارين التى أمر الله تعالى موسى بدخولها ، فلما وصل موسى إلى المدينة بجند بنى إسرائيل ، طلب بنو عم بلعام منه أن يدعو الله تعالى على موسى وجنده

قال ابن عباس عنه إنه قال " إنى إن دعوت الله تعالى أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ١٧٥ ﴾ أى منعه الله تعالى ما كان له من النعم ، وما كان له من استجابة الدعاء.

فالقرآن الكريم احتج على الكافرين من عصر النبى أنهم يكفرون على علم ويجحدون وهم يعلمون مثل إبليس وبلعام، الذى كفر كل منهما على علم بمعنى أن العلم لم يغير من حالتهم العقائدية، فسواء عليهم علموا أم لم يعلموا لا يؤمنون، كما أن القرآن احتج على بشاعة كفرهم بهذا التنظير الحجاجى من أنهم مثل إبليس يعلمون الصواب ثم يحيدون عنه، ففى التنظير الحجاجى، احتجاج على بشاعة الكفر، فكفر الذى يعلم أبشع من كفر الذى لا يعلم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العامل الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر(قل) وسورة الفاتحة

وإلى جانب العوامل الحجاجية التى تربط بين السور المبدوءة بفعل الأمر (قل) عبر النفى والإثبات أو العموم والخصوص أو الإجمال والتفصيل أو المضادة ، فإنه يوجد شكل آخر من أشكال العوامل الحجاجية يمكن أن نتبينه من خلال الترابط الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر(قل) وسورة سورة الفاتحة.

يتمثل هذا العامل الحجاجى من خلال استجابة المأمورين المتوجه إليهم الأمر بـ (قل) عبر سورة الإخلاص والمعوذتين بوصفهم سورا تخاطب المتلقين من المؤمنين . إذ يأتى الرد على الأمر بـ (قل) من خلال سورة الفاتحة ، التى كانت بمثابة رد المؤمنين على تلك الأوامر من خلال توجههم بدعاء خالص إلى رب العالمين يتضمن الإقرار بالألوهية والربوبية والحمد والالعبودية والاستعانة .

ومن هنا فإن الرد على الأمر المتضمن فى مقول القول فى سور الإخلاص والمعوذات و الذى تمثله سورة الفاتحة يعد عاملا حجاجيا يدل على اتصال النسق الحجاجى بين خواتم النص وبدايته .

ولعلنا نلاحظ أن نص الفاتحة الشريفة بخلوه من المؤشرات الزمانية الدالة على الحكى كأن تبدأ بالفعل (نتلو) أو (نبدأ) ، ما يدل على استناد النص على الحكى اللازمانى، فى إشارة إلى ديمومة الخطاب وديمومة الدعاء،وما يتصل به من استعلاء الحدث الحجاجى فى النص بالابتداء ببيان افتقار العباد من خلال حدث الدعاء فى كل وقت، إذ لم يميز حدث الدعاء بمؤشر زمانى من خلال اتصاله بزمان فعل معين ممايصبغ الخطاب بصبغة لازمانية تميل بالنص إلى حيز الزمن الالهى السرمدى.

كما أن اتكاء النص على الرابط المحذوف وهو الفعل المتعلق بحرف الجر الباء، يجعل دلالة الرابط المحذوف تميل إلى التطابق مع كل فعل، لا فعل القراءة فقط أو التلاوة أوفعل الابتداء، كما قدره المفسرون.

فتكون المبادرة إلى الافتقار للمولى جل وعلا فى كل فعل، وليس فى فعل واحد، وهذا يناسب فعل الاستعانة فى قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (الفاتحة/٥) ، إذ تصلح دلالة الاستعانة أن تقع على أى أمر، ذلك أن الاستعانة بالله عزوجل تكون فى كل أمر.

على أن الرد على مقول القول هنا لايحمل وظيفة نحوية تربط أبعاض النص داخليا ، إذ إن الوظيفة هنا تتمثل فى كونها وظيفة حجاجية ، تربط نهاية النص ببدايته على المستوى الكلى أى على مستوى البنيات القولية الكبرى فهى تربط بين بنية النهاية المتمثلة فى السور المبدوءة بالأمر (قل) وبنية البداية المتمثلة فى سورة الفاتحة .

ومن هنا كانت الأهمية الحجاجية فى ابتداء القرآن الكريم بسورة الفاتحة حتى صارت كالعنوان له ، يقول ابن الزبير الغرناطى فى مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة " مناسبتها : جاءت هذه السورة على قصرها مصدرة للكتاب العزيز وقد راح العلماء والمفسرون يتلمسون سر افتتاح القرآن بها حتى صارت كالعنوان له"[١] .

وينحو ابن الزبير فى بيان تصدير الكتاب العزيز بسورة الفاتحة منحى تداوليا إذ يقول:" براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ماسيق الكلام لأجله، والعلم الأسمى فى ذلك سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن"[٢] .

---

(١) الغرناطى ، ابن الزبير / البرهان فى ترتيب سور القرآن/ صـ١٨٨

(٢) نفسه / صـ١٨٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إذن يرى العلماء أن الفاتحة هى عنوان الكتاب الكريم وهى مطلع القرآن حيث تتناسب الحال المتكلم فيه وتبين السبب الذى من أجله سيق الكتاب ،ولعلنا نلاحظ أن مناسبة الحال التى يتكلم عنها السيوطى، هى المناسبة المعنوية، التى تخضع لظروف المقام مما يدفع بنا إلى القول إن الحال المتكلم فيه هنا هو حال المحاجة.

ولما كان القرآن الكريم رسالة الله جل وعلا إلى خلقه، فإنه يقتضى مرسلا وهو الله عز وجل ومرسل إليه وهو الانسان، فى تعدديته الأيدولوجية المكونة من المؤمنين والكافرين وأهل الكتاب والمنافقين، بحيث تتعدد مقامات الإرسال.

فقد نص القرآن الكريم على حجاجية الفعل القرآنى (قل) وذلك بقوله تعالى ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ ﴾(آل عمران / ٢٠)، حيث جعلته الآية الكريمة جوابا لفعل الشرط، وهو هنا فعل الحجاج.

فقد جاء فعل القول، مترتبا على فعل الحجاج وملازما له، لأن فعل الشرط وفعل الجواب يعدان من المتلازمات التركيبية، إذ لا يستغنى أحدهما عن الآخر، حيث يترتب فعل الجواب على فعل الشرط وجوبا وإلا ضاع المعنى.

ومن هنا كان الفعل (قل) فعلا حجاجيا بنص القرآن الكريم من ناحية، وباستدعائه لذات النبى صلى الله عليه وسلم، باعتباره هو المخاطب من خلال هذا الفعل، من ناحية أخرى.

ذلك أن الفعل (قل) بوصفه فعلا حجاجيا يربط النص بالمخاطب ، قد جعل النص الكريم يستحضر موافقة المخاطب الأول للنص وقبوله لمقدماته وموافقته للخطاب وهو بمثابة إقرار بالعبودية.

والمخاطب الأول هو النبىّ صلى الله عليه وسلم ،ومن ثم يتحول النص من الإخبار إلى الحجاج لأن موافقة النبىّ صلى الله عليه وسلم حجة على المتلقين أو المرسل إليهم ، فكل قراءة للأمر(قل) تستدعى استحضار حدث الموافقة الأول الخاص بالنبىّ ، ثم حدث الموافقة التالى الخاص بأصحابه مما يعد حجة على المتلقى الذى يأتى فى الأزمنة التالية ، فى الإقرار بألوهية النص الكريم.

وقد جاء فيما أخرجه البخارى فى صحيحه " عن زر ، قال سألت أُبىّ بن كعب قلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال أُبىّ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : قيل لى فقلتُ ، قال : فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١).

فإذا كان الفعل (قل) فى السور المبدوءة بفعل الأمر (قل) فعلا موجها لذات النبى صلى الله عليه وسلم، فإن المؤمنين مأمورون بالقول كما قال النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بأن يصدر عنهم فعل الاستعاذة تأسيا باستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم، كما كانوا مأمورين- على ما جاء فى الحديث الشريف- بالقول بمثل ما قال النبىّ صلى الله عليه وسلم.

يقول الماتريدى فى الفعل (قل) إن " المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل، ابتلى بما ابتلى به المأمور، فأثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد "(٢)، وليس منا فقط بل حجة عليهم، إذ إن استدعاء شخص النبى فى

(١) البخاري ، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل / الجامع المسند الصحيح ، ت: مركز البحوث وتقنية المعلومات / دار التأصيل / القاهرة /١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م / ط١ / كتاب التفسير / حديث رقم ٤٩٦٥

(٢) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى /ج١٥، صـ٥١٧ـ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الآية الكريمة، سيظل مسجلا لحدث النزول الأول ومستدعيا لحدث الموافقة النبوية والإقرار النبوى مع كل قراءة. إلى جانب ذلك فإن استدعاء ذات النبىّ من خلال فعل الأمر، سيظل من الناحية الحجاجية، ممثلا للأمر بإذعان المتلقين تأسيا به صلى الله عليه وسلم.

وقد عدّ الأقدمون شخص النبىّ فى ذاته حجة ؛ إذ قالوا : " إن لله سبحانه وتعالى حجتين؛ حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل وأما الباطنة فالعقل...وحجة الله على العباد النبى والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل "(١)

وهو موافق لما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (البقرة / ١٥٠) فجعل القرآن الكريم حجة على الناس.

وعلى هذا يعد العامل الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر(قل) وسورة الفاتحة هو كون الفاتحة تمثل استلزاما جوابيا للفعل الحجاجى (قل)، حيث تبدو القوة الحجاجية للفعل (قل) المعبر عن الإرسال المزدوج، فى استجابة المرسل إليهم (الناس) للفعل الحجاجى فجاء الرد على المرسل وهو الله عز وجل من خلال سورة الفاتحة.

كما يكمن العامل الحجاجي أيضا فى كون اسمىّ الرحمن و الرحيم يمثلان استجابة لحدث الاستعاذة لأن هذا الحدث من ألصق الأحداث بصفات الرحمة.

---

(١) الكاتب ، ابن وهب / البرهان فى وجوه البيان/ ت: حفنى محمد شرف / مكتبة الشباب / القاهرة /١٩٦٨م / ط١ / صـ٥٢

إذ جاءت صفات الرحمة فى القرآن الكريم ممثلة فى استعاذة نبى الله أيوب عليه السلام، من الشيطان قال تعالى على لسان أيوب عليه السلام ﴿رَبِّ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء / ٨٣) ، فقد نص القرآن الكريم على طلب كشف ضر الشيطان عن أيوب من خلال صفات الرحمة.

ولما كانت الاستعاذة، من شر النفاثات فى العقد وهن الساحرات، وكان السحر من فعل الشيطان، ومن الحسد الذى هوفعل الشيطان أيضا، ومن الوسواس نفسه الذى هو الشيطان كانت صفات الرحمة فى سورة الفاتحة هى بمثابة الاستجابة للأمر الإلهى بفعل القول

الروابط الحجاجية :

تمثل الروابط الحجاجية مجموعة الأدوات المعبرة عن العلاقات النحوية والتى تتحول بفضل السياق اللغوى والمقام إلى روابط حجاجية، تربط المسار الحجاجى فى النص على المستوى الداخلى، لا المستوى الخارجى من خلال البحث عن علاقة الوظيفة النحوية بالوظيفة الحجاجية.

ولاشك أن الوظيفة النحوية تتصل اتصالا مباشرا بالتركيب ومن هنا فإن المتأمل يستطيع أن يتبين مجموعة من الروابط الحجاجية فى النص الكريم، تصطبغ بصبغة حجاجية تبعا لظروف المقام وهى كالتالى:

أولا: الروابط الحجاجية المفردة وهى الأدوات النحوية المفردة التى تحولت من وظيفتها النحوية إلى وظيفة حجاجية ، مثل: واو العطف ،ولام التعليل ، و(إن) الناسخة.

ثانيا: الروابط الحجاجية المركبة والتى تكونت من :

١. الأدوات النحوية المفردة إلى جانب الفعل مثل:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أ. الفعل المضارع (أعلم) مع الحرف الناسخ (أن) .

ب. حرف التحقيق (قد) مع الفعل الماضى .

٢. الأدوات النحوية فى المركبات الاسمية ، مثل:

أ.(إن) الناسخة مع (ما) الكافة .

ب. حرف الجر المتصل باسم الإشارة (كذلك) ف(الكاف) حرف جر واسم الإشارة (ذا) فى محل جروالام للبعد والكاف الأخيرة حرف خطاب .

ج. حرف الجرمع المجرور مع المضاف إليه (من أجل ذلك) واسم الإشارة هنا هو المضاف إليه.

أولا: الروابط الحجاجية المفردة:

١ – حرف الواو بوصفه رابطا حجاجيا

يمثل قوله تعالى ﴿وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (المجادلة/ ١) تقريرا حجاجيا من خلال حرف الواو، فحرف الواو يمثل رابطا حجاجيا تعليليا، إذ إن الجملة تمثل استئناف "جار مجرى التعليل لما قبله" [١]، على أساس أن الفعل (سمع) يعنى (استجاب)، فتكون فعل الاستجابة ناتجا عن السماع ومعللا به.

بمعنى أن الله تعالى لم يكن غائبا عن الحدث، وفى هذا رد على شكوى المرأة المثبتة فى الآية من ناحية أن إلحاح هذه المرأة " فى المسألة ومبالغتها فى التضرع إلى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام إياها وعلمه عزوجل بحالهما من دواعى الإجابة."[٢]

(١) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج٢٨ صـ ٤

(٢) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج٢٨صـ٤

٢. حرف الواو بوصفه رابطا حجاجيا فى الجمل المذيلة للآيات:

ويحمل حرف الواو المتصل بالجملة الاسمية فى الجمل المذيلة للآيات معنى حجاجيا ، وهو يشبه ماجاء عند الأصمعى من احتواء الجمل المذيلة للشعرعلى معان حجاجية ،وذلك كما فى قوله تعالى ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرةٌ خَيرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبعُهَا أذًى واللهُ غَنِىٌ حليم﴾ (البقرة/ ٢٦٣) .

ذلك أن الواو فى الآية الكريمة، نتبين فيها معنى الحجاج، فهى تمثل بوصفها رابطا حجاجيا، وذلك بالاعتماد على دلالة الجملة القرآنية.

والملاحظ أن المعنى هنا يسير فى اتجاه عكسى من النيجة إلى الحجة أو المقدمة، فالسياق القرآنى، قد بدأ بالنتيجة، وهى أن القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التى يتبعها أذى ثم يأتى الرابط الحجاجى وهو الواو التى جاءت على سبيل التعليل لهذه النتيجة، وهى أن القول المعروف أحسن لأن الله عز وجل غنى حليم.

فكما كان الله عزو جل غنيا عنكم وفى حال استغنائه عنكم كان حليما عليكم لا يعاجلكم بالعقوبة ، فعليكم إذن أن تحلموا على غيركم من الناس الذين أنتم فى غنى عنهم ، فلا تبادروا إلى الجهل عليهم بأسباب العنف وهوالمقصود بالأذى، لتيقنكم بعدم قدرتهم على رد العدوان، لاحتياجهم إلى صدقتكم أو لاعترافهم بفضلكم أو لقوتكم وضعفهم .

لقد ربط النص الكريم بين هذين المعنيين، فى اتجاه عكسى من النتيجة وهى مدح الحلم بعدم المن والأذى،من خلال الرابط الحجاجى ؛ الواو الحجاجية، التى تفيد التعليل، بالمقدمة وهى التشبه بحلم الله عز وجل.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣. لام التعليل بوصفها رابطا حجاجيا:

ولعلنا نلاحظ أن اللام المتصلة بالفعل (نصرف)، تمثل رابطا حجاجيا يربط النتيجة وهى صرف السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام، بالحجة وهى المشهد السلوكى غير المنصوص عليه فى الآية

كذلك فإن هذه النتيجة تمثل نتيجة لمقدمة أخرى متأخرة، وهى أن يوسف عليه السلام من عباد الله المخلصين كما فى قوله تعالى﴿ كذلك لِنَصْرِفَ عنْهُ السُّوءَ والفَحْشاءَ إنَّهُ مِن عِبادِنا المُخلَصِينَ ﴾ (يوسف/٢٤)

فيكون قوله تعالى ﴿إنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصِينَ ﴾(يوسف/٢٤)، استئناف تعليلى جاء على وجه التقرير، ومن الممكن أن يكون الرابط الحجاجى هنا هو الحرف الناسخ (إن) الذى أصبح له وظيفة حجاجية من خلال السياق.

أو يكون الرابط الحجاجى هو لام التعليل المحذوفة فيكون تقدير القول لأنه من عبادنا المخلصين.

ومن هنا تكون النتيجة فى هذا السياق، رابطة بين مقدمتين المقدمة الأولى وهى البرهان المشار إليه فى الآية والمقدمة المتأخرة، وهى كون نبى الله يوسف عليه السلام من عبادنا المخلصين، فيكون تدرج الحجج فى الآية الكريمة من الأقل إلى الأكبر.

٤. الحرف الناسخ (إنّ) بوصفه رابطا حجاجيا

كذلك فإن قوله تعالى ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة/ ١)، "تعليل لما قبله بطريق التحقيق" [١]، أى أن الله جل وعلا قد سمع تحاوركما لأنه "

(١) الألوسى،محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج٢٨ صـ٤

تعالى يسمع كل المسموعات ويبصر كل المبصرات على أتم وجه وأكمله ومن قضية ذلك أنه تعالى يسمع تحاوركما"[١]

وعلى هذا يكون الحرف الناسخ (إن) قد أفاد التعليل وربط بين النتيجة وهى أن الله تعالى يسمع حوار المرأة مع النبى صلى الله عليه وسلم، والمقدمة فى هذا السياق

والنتيجة فى هذا السياق مقدمة عن الحجة والتى أتت مؤخرة وهى كونه جل وعلا سميع بصير، وقد أخرت الحجة لعمومها وشهرتها، ولأن فيها إثبات العلم الأزلى لله عزوجل إذ كان السمع. والبصر أداتين من أدوات العلم، فتكون كل الأحداث مرتبطة به وقد جعل العلماء الحجة المرئية أعلى درجات الحجج .

كما جعلوا الشهادة علة وحجة فى إلحاق الحكم، فكان سمع وبصر الله عز وجل حجة فى إيجاب الحكم، وحجة على كل من سلم به ومن لم يسلم به ومن هنا كانت الحجة الإلهية العظمى فى السمع والبصر هى أعلى الحجج، وتنتسب لها كل حجة، فناسب ذلك أن تقع مذيلة للآية، لأن الجمل المذيلة للآيات هى " آخر ما يقع على الأسماع وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها."[٢]

---

(١) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى /ج٢٨صـ٤

(٢) العلوى ، حمزة بن يحيى / الطراز / ت: عبدالحميد هنداوى / المكتبة العصرية / بيروت /١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م / ط١ / صـ٣١٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانيا : الروابط الحجاجية المركبة

١. الأدوات النحوية المفردة مع الفعل

أ. الفعل المضارع (أعلم) مع الحرف الناسخ (أن)

يمثل الفعل (أعلم) صيغة المضارعة من الفعل (علم) والمتصل بالحرف الناسخ (أن) رابطا حجاجيا مركبا فى القرآن الكريم. وقد تأتى مادة (علم) فى صيغة الأمر متصلة بالحرف الناسخ (أن) كما فى قوله تعالى ﴿واعلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٦٠).

كما قد تأتى للجمع كما فى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيم﴾ (البقرة/ ٢٣٥) وتبدو حجاجية هذا التركيب من وروده فى القرآن الكريم فى سياق المشهد الحجاجى.

مثال ذلك أن الفعل (أعلم) المتصل بالحرف الناسخ (أن) قد جاء فى قصة عزير، فى سياق حجاجى، حيث بدأت القصة بالسؤال ، إذ إن السؤال دائما ما يعبر عن بداية المحاجة، ولكن هذا السؤال، كان تساؤلا نفسيا.

"لاعلى سبيل الشك فى قدرة الله عزوجل بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة"(١)، حيث يمثل الفعل (أعلم) المتصل بحرف الاستقبال تركيبا حجاجيا يعلى توافق الأطراف على النتيجة المترتبة على المقدمات الحجاجية، حيث ارتبطت هذه المقدمات بالنتيجة من خلال هذا الرابط التركيبى.

والمقدمات فى هذه القصة، تتمثل فى ثلاث مقدمات،الأولى :إماتة عزير ثم إحيائه، المقدمة الثانية : عدم فناء طعامه أو تحوله بعد موته لمدة

(١) الرازى، فخر الدين / التفسير الكبير/دار الفكر / بيروت / ١٤٠١ه-١٩٨١م /ط١/ج٧ص٣٣

مائة عام، الثالثة : إحياء حماره بعد فنائه ثم إن هذه المقدمات قد اتصلت بفعل النظر، وهو أعلى مراتب الاستدلال، لما جاء فى الحديث " ليس الخبر كالمعاينة رواه ابن عباس ولم يروه غيره، قاله أبو عمر. قال الأخفش لم يرد رؤية القلب إنما أراد رؤية العين"(١).

ففى المقدمة الأولى قال تعالى: ﴿فَانْظرْ إلىَ طَعامِكَ وشَرَابِكَ لَمْ يَتَسنَّه﴾ ، وفى المقدمة الثانية :قال تعالى ﴿وانْظرْ إلىَ حِمَارِكَ﴾.

وقد عظامه فانظر كيف سنحيه، وفى المقدمة الثالثة: قال تعالى {وانْظرْ إلَىَ العِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثمَّ نَكسوهَا لَحْمَا}، بالنظر إلى حال جسد عزير نفسه " وقد روى أن الله تعالى أحيا بعضه ثم أراه كيف أحيا باقى جسده... لأن أول ماخلق الله منه رأسه وقيل له انظر، فقال عند ذلك أعلم"(٢).

وبعد هذه المقدمات وصف الله تعالى، هذا الحدث الحجاجى بكونه فيه حجة قطعية على قدرة الله عزوجل على الإحياء بعد الموت، من خلال فعل التبيين، الذى قوامه النظر المتكرر مع كل مقدمة قال تعالى ﴿فَلمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىَ كُلِّ شَئٍ قَدِير﴾.

ولعلنا نلاحظ تراتبية المقدمات على السلم الحجاجى فقد بدأ القرآن الكريم بالأقل وهو بقاء الطعام على حاله فالأكبر وهو إحياء الحمار ثم الأكبر وهو إحياء عظامه هو.

---

(١) القرطبى، محمد بن أحمد الأنصارى / الجامع لأحكام القرآن الكريم / ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركى / مؤسسة الرسالة /الرياض/ ١٤٢٧ه -٢٠٠٦م / ط١/ ج٢ صـ٢٩٨

(٢) القرطبى ، محمد بن أحمد الأنصارى / الجامع لأحكام القرآن الكريم / ج٢ صـ٢٩٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم جاء الفعل (أعلم) المنسوب إلى المخاطَب وهو عزير عليه السلام، ليحمل إقرارا بعد هذه المقدمات بأن الله على كل شئ قدير، فالفعل (أعلم) يمثل مؤشرا حجاجيا على إقرار الطرف الآخر، وعلى توافق الأطراف على نتيجة المحاجة.

ولا نستطيع أن نقول إن عزيرا قد أنكر وجود الله عزوجل، ولا أنكر قدرة الله، ولكن قد يكون هذا من الزلل الذى وقع فيه أن يكون قد استبعد إحياء القرية بعد موتها على سبيل العادة.

ب. (قد) مع الفعل المضارع (نرى) والفعل الماضى (سمع)

يمثل (قد) حرف تحقيق أى " تأتى لتأكيد الشئ وإيجابه وتصديقه"[(١)] ويمثل حرف التحقيق (قد) مع الفعل المضارع مؤشرا حجاجيا لا يختص بنتيجة المحاجة مثل التركيب السابق، وإنما يختص بارتباط العلة مع المعلول، كما سنرى.

جاء هذا التركيب فى قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (البقرة/ ١٤٤)، وقد بدأ السياق الخاص بهذه الآية باثبات التساؤل، وهو سؤال حجاجى، منسوب إلى اليهود فى قوله تعالى (البقرة/١٤٣) ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُم عَن قِبْلَتِهِمُ التِى كَانُوا عَلَيْهَا﴾.

فجاء الرد الإلهى على السفهاء من اليهود بأسباب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، من خلال قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾، ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم " كان يكره التوجه إلى بيت

(١) الأندلسى ، أبو حيان محمد بن يوسف /البحر المحيط فى التفسير / ت: عادل أحمد – على معوض / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤١٣ه – ١٩٩٣م /ط١ / ج٤ صـ ١١٥

المقدس، ويحب التوجه إلى الكعبة إلا أنه ما كان يتكلم بذلك، فكان يقلب وجهه فى السماء لهذا المعنى، روى عن ابن عباس، أنه قال: يا جبريل وددت أن الله تعالى صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها فقد كرهتها فقال له جبريل أنا عبد مثلك، فاسأل ربك ذلك، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء مجئ جبريل بما سأل"[١].

ولاشك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكره بيت المقدس، وإنما كره معايرة اليهود له،وقد روى أنهم كانوا يقولون "يخالفنا محمد ويتبع، يريد تأييدا إلهيا على رغبته فىقبلتنا"[٢]، فتقلب وجه النبى تغيير قبلته والمسلمين، عن قبلة يهود.

"وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع فى قلبه ويتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة"[٣]، لما يناله من سخرية اليهود وقد جاء الحرف (قد) المتصل بالفعل (نرى) ليكون مؤشرا حجاجيا على اتصال العلة وهى الحجة فى تحويل القبلة، وهى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بتغييرها والمعلول أو المقدمة وهى حدث التغيير نفسه، الذى كان محل المحاجة بين اليهود والنبى صلى الله عليه وسلم، حيث كان السؤال الحجاجى فى أول الآيات، هو المنوط بإشهار الدعوى، وهى تحويل القبلة.

وقد جاء هذا التركيب مؤشرا حجاجيا على ارتباط العلة بالمعلول أو الحجة بالقضية، فى قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ (المجادلة/١)

(١) الأندلسى ، أبو حيان محمد بن يوسف / ج١ صـ٥٩٦
(٢) نفسه/ ج٢ صـ٨
(٣) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج٢ صـ٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بَصِيرٌ فحرف التحقيق مع الفعل الماضى (سمع)، تعليل لنزول الكفارة لمن يظاهرون زوجاتهن، على ما كان قبل الإسلام، فحرف التحقيق، يمثل رابطا حجاجيا يربط علة نزول الحكم بالنتيجة المترتبة على فعل المحاجة وهى نزول حكم الظهار إنصافا لهذه المرأة.

كما أن الفعل (سمع) المتصل بالحرف (قد) يؤكد على سماع الله عز وجل لحث الجدال، والتوكيد هنا ليس للسماع وإنما تطييبا لنفس المرأة التى رفعت شكواها إلى الله عزوجل حيث ذهبت خولة بنت ثعلبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت "يا رسول الله أكل أوس شبابى ونثرت له بطنى فلما كبرت ومات أهلى ظاهر منى، فقال لها: ما أراك إلا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فإنى وحيدة ليس لى أهل سواه، فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا و جدالها وكانت فى خلال ذلك تقول، اللهم إن لى منه صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، فهذا هو اشتكاؤها إلى الله فنزل الوحى عند جدالها"(١).

مع ملاحظة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يحاورها ويضادها فى رأيها ليس انتصافا لرأيه، وإنما لأنه لم ير جوابا شرعيا يلبى به رغبتها ويواسى به شكواها، فكان يقول لها "والله ما أمرت فى شأنك بشئ حتى الآن"(٢).

ومن هنا كان الفعل الماضى مع حرف التحقيق (قد سمع) مؤشرا حجاجيا علىإقرار الله عزوجل، لدعوى المرأة بوصفها طرفا فى هذا الجدال.

---

(١) الأندلسى ، أبو حيان محمد بن يوسف / البحر المحيط فى التفسير / ج٨ ، صـ٢٣١
(٢) الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى / ج٢٨صـ٣

٢. الروابط الحجاجية فى المركبات الاسمية

أ. (إن) الناسخة مع (ما) الكافة

جاء فى المحرر الوجيز لابن عطية " إنما لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر، فإذا دخل فى قصة، وساعد معناها على الانحصار صح ذلك وترتب، كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (الأنبياء/ ١٠٨) وغير ذلك من الأمثلة، وإذا كانت القصة لا تتأتى للإنحصار بقيت (إنما) للمبالغة والتأكيد كقوله" إنما الربا فى النسيئة وكقوله (إنما الشجاع عنترة)" [(١)].

وجاء فى دلائل الإعجاز للجرجانى "(إنما) وضعت على أن تجئ لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة "[(٢)]، ولاشك أنه لا يستحيل عقلا أن تأتى (إنما) للحصر والتوكيد، وللأمر الذى لايدفع صحته المخاطب.

ولعل الشاهد فى هذا السياق ما دلت عليه (إنما) من أن الخبر الذى تصدر به (إنما)، لا يدفع صحته المخاطب، مما يعنى أن هناك توافقا بين المرسل وهو الله عزوجل، والمخاطبين ومن هنا تمثل (إنما) مؤشر حجاجى على الإقرار والإذعان، بالخبر المذكور هنا وهو هنا الحكم الخاص بحد الحرابة ذلك أن المقدمة فى هذا المقام كانت قصة ابنى آدم عليه السلام والتى بدأت بمؤشر يدل على بداية المحاجة وهى ﴿وَاتْلُ عليهم﴾ (المائدة / ٢٧)

---

(١) ابن عطية ، عبدالحق بن غالب / المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز / ت: عبد السلام عبدالشافى / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م / ج٣ صـ١٤٩

(٢) الجرجانى ، عبد القاهر / دلائل الإعجاز / ت: محمود محمد شاكر / مكتبة الخانجى / القاهرة / ١٤١٣هـ-١٩٩٢م / ط٣/ صـ٣٣٥ـ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أى واتل عليهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ومضمون القصة هى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ. مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة / ٢٧)، حيث بدأت القصة بالغيرة والحسد ثم انتهت بقوله تعالى ﴿فَأصبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (المائدة /٣٠)، وقوله تعالى ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النادمين﴾ (المائدة/ ٣١)

ب. حرف الجر مع اسم المجرور مع المضاف إليه

المؤشر التركيبى (من أجل ذلك)

أشير إلى أن هذا المؤشر التركيبى يتكون من: (من) حرف جر ، و(أجل) اسم مجرور، والمضاف إليه هنا هو اسم الإشارة للبعيد (ذلك) مبنى فى محل جر.

ويتصدر هذا المؤشر التركيبى المقدمة الثانية و هى نتيجة عن المقدمة الأولى فى قوله تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة / ٢٨)

حيث ارتبطت المقدمة الأولى مع الثانية ، من خلال مؤشر حجاجى تعليلى وهو قوله تعالى ﴿من أجل ذلك﴾، حيث يربط العلة وهى الخسران والندم المترتب على القتل، بالمعلول، وهو الحكم المشدد الخاص ببنى اسرائيل والمشار إليه فى الآية والمعنى "أى من أجل ذلك الذى ذكرنا فى أثناء القصة من أنواع المفاسد المترتبة على القتل العمد العدوان شرعنا القتال فى حق القصاص فى حق القاتل."(١)

(١) الرازى ، فخر الدين / التفسير الكبير / ج١١صـ٢١١

ثم إن المقدمة الأولى التى هى خسران وندم ابن آدم القاتل، إلى جانب المقدمة الثانية، وهى إسراف بنى إسرائيل فى القتل رغم تشديد عقوبته فى حقهم والمعبر عنها بقوله تعالى ﴿ولقَدْ جَاءَتهُم رُسُلُنَا بالبَيِّنَاتِ ثمَّ إنَّ كثيراً مِنهُم بَعدَ ذَلِكَ فِى الأرْضِ لمُسرِفُون﴾ (المائدة /٢٨)

فقد جاءتهم البينات وهى الحجج على وجود الله الحق جل وعلا وعلى أن القتل مفسدة ومذمة وخسران، ورغم ذلك أسرفوا على أنفسهم بالقتل، وكذلك ابن آدم القاتل فقد جاءته البينات على وجود الله الحق جل وعلا، ورغم هذا قتل أخية فأصابه الندم والخسران.

وقد نتج عن هاتين المقدمتين، هذا الحكم الإلهى المصدر بقوله تعالى (إنما)، ومن هنا فإن (إنما) تمثل مؤشرا حجاجيا، على الإقرار بالنتيجة المترتبة عن هاتين المقدمتين وهو الحكم القائل بحد المحاربة، لأن – كما سبق أن أشرت تدل على قول لا يدفع صحته المخاطب، وكان عدم الدفع من المخاطب لهذا الحكم وإقراره به ناتجا عن إفهام الله جل وعلا للحكمة من هذا الحكم، من خلال المقدمتين السابقتين والتى حكى كل منهما قصة الندم المترتب على القتل .

ومن هنا لم يصدر هذا الحكم بقوله (اعلم)، رغم أنه مناظر لما جاء فى تذييل هذا الحكم من قوله تعالى ﴿إلَّا الذِينَ تَابُوا مِنْ قبْل أَنْ تَقْدِروا عَلَيْهِم فاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ﴾ (المائدة/ ٢٩)، بمعنى أنه كما جاء الفعل (اعلم) مذيلا لنهاية الحكم، فإنه كان من الممكن، أن يأتى الفعل (اعلم) فى مقدمة الحكم وذلك لأن العلم بهذا الحكم قد تبين من هاتين المقدمتين.

إلى جانب أنه دليل على مسارعة المتلقين من المؤمنين فى قبول الحكم وهو المشار إليه بقوله تعالى عنهم ﴿سَمِعْنا وَأَطَعْنا ﴾(البقرة/٢٨٦)،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بخلاف اليهود الذين قالوا (البقرة/ ٩٣) سَمِعْنا وَعَصَيْنا ورغم أن الفعل (اعلم) فى صيغة الأمر المتصل بالحرف (أن) يمثل مؤشرا حجاجيا على الإقرار بنتيجة الدعوى. والدعوى هنا غير مذكورة فى المقام إذ إنها مفهومة ضمنا من المقام، وهى وجوب قتل القاتل.

ورغم أن الحرف (إن) المتصل بـ (ما)، يمثل تركيبا حجاجيا أيضا على الإ قرار بالدعوى، إلا أن الاختلاف بينهما يكمن فى أن ﴿اعلموا أن﴾ تأتى فى الأمور التى يراد فيها مزيد توضيح، للمخاطب.

أما (إنما) فتكون مؤشرا حجاجيا على الإقرار بالأمور الواضحة وضوحا جليا للمخاطب ومن هنا تذيل هذا الحكم بالفعل (اعلم) تنبيها للمخاطبين حتى لا يشتبه عليهم عدم قبول توبة التائب أو لزومه الحد.

ج. حرف الجر الكاف المتصل باسم الإشارة

المؤشر التركيبى (كذلك)

اتصل حرف الجر (الكاف)، باسم الإشارة (ذلك) فى مجموعة من السياقات القرآنية، ودائما ما يتصل بلام التعليل، فقد جاء فى قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وسَطاً لتكونوا شُهداءَ على النَّاسِ وَيَكونَ الرَّسُولُ عَلَيْهِم شَهيداً﴾ (البقرة/ ١٣١)، وفى قوله تعالى ﴿كَذلِكَ لنَصْرِفَ عَنهُ السُّوءَ والفَحْشاءَ﴾ (يوسف/٢٤)، وفى قوله تعالى ﴿كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف/٧٦)

ويمثل حرف التشبيه المتصل باسم الإشارة (كذلك)، مؤشرا حجاجيا يشير إلى الحجة والتى هى سببا فى نتيجة المحاجة، والنتيجة هى التى تأتى بعد لام التعليل، وفى الآية الكريمة تكون المقدمة كالآتى "وجعلناكم أمة

وسطا جعلا مثل ذلك، والإشارة بذلك ليس إلى ملفوظ به متقدم إذ لم يتقدم فى الجملة السابقة اسم يشار إليه بذلك"[١]

وتكمن المزية الحجاجية فى اتصال كاف التشبيه باسم الإشارة، فى أن تتعدد التقادير فى المشار إليه، ومن ثم تتعدد الحجج، لأنه لم يتقدم فى الجملة السابقة، ملفوظ يشار إليه.

حيث اختلف المفسرون فى "المشبه به أى شئ هو؟ وفيه وجوه: أحدها أنه راجع إلى معنى يهدى أى كما أنعمنا عليكم بالهداية، كذلك أنعمنا عليكم بأن جعلناكم أمة وسطا وثانيها: قول أبى مسلم تقريره كما هديناكم إلى قبلة هى أوسط القبل وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

وثالثها: أنه عائد إلى ما تقدم فى قوله فى حق إبراهيم عليه السلام ﴿ولَقَدْ اصْطَفَيناَهُ فى الدُّنيا﴾ (البقرة/ ١٣٠)، أى فكما اصطفيناه فى الدنيا كذلك جعلناكم أمة وسطا ورابعها: يحتمل عندى أن يكون التقدير ﴿وللهِ المَشرِقُ والمَغْرِبُ﴾ (البقرة/ ١١٥) فهذه الجهات بعد استوائها فى كونها ملكا لله وملكا له خص بعضها بمزيدالتشريف والتكريم بأن جعله قبلة فضلا منه وإحسانا.

فكذلك العباد، كلهم مشتركون فى العبودية إلا أنه خص هذه الأمة"[٢] بمزيد الفضل والعبادة فضلا منه وإحسانا لا وجوبا وتأسيسا على ما سبق فإنه يمكن أن تجتمع كل هذه التقديرات فى مدلول المشار إليه، فقد تدل (ذلك) على مجموع هذه التقديرات مجتمعة، ومن هنا يصبح المؤشر الحجاجى (كذلك)، دالا على الحجج المندمجة من خلال اسم الإشارة.

---

(١) الأندلسى ، أبو حيان محمد بن يوسف / البحر المحيط فى التفسير / ج١ص٥٩٥ـ

(٢) الرازى ، فخر الدين / التفسير الكبير / ج٤صـ١٠٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويعضد المزية الحجاجية فى هذا التركيب، مجيئه فى سياق لفظى اتصل بلفظ المحاجة، وهو ما جاء بعد لام التعليل وهو قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهدَاءَ علَى النّاسِ وَيكونَ الرَّسُولُ عَليْكم شَهيداً﴾(البقرة/١٤٣)"[١] حيث قيل إن الشهادة هى " الاحتجاج أى لتكونوا محتجين على الناس وفى قوله تعالى ﴿كذَلكَ كِدنَا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف/٧٦) .

نلاحظ هذا الملمح الحجاجى فى (كذلك)، من كونها مؤشرا على الحجج المندمجة ؛ ذلك أن اسم الإشارة يؤوّل إلى الحجج المتعددة.

والمعنى هنا "أى مثل ذلك الكيد العجيب، وهو إرشاد الأخوة إلى الإفتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا...أى صنعنا ودبرنا لأجل تحصيل غرضه"[٢] من المقدمات التى رتبها من دس السقاية وما يتلوه وقد ألمح أبو هلال العسكرى فى المعنى الحجاجى المثبت فى (كذلك)، حيث جاء فى باب الحجاج والاستشهاد، فى كتابه الصناعتين، عن علاقة التذييل بالحجاج.

قال عن الحجاج إن "مجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"[٣].

ثم استشهد بقول الشاعر آتيا بالمؤشر الحجاجى (كذلك)، فى مقدمة البيت الذى هو حجة على البيت الأول، قال:

---

(١) الأندلسى ، أبو حيان محمد بن يوسف / البحر المحيط فى التفسير/ ج١صـ٥٩٥

(٢) روح المعانى / الألوسى ، محمود بن عبد الله / روح المعانى / ج ٧صـ٢٨

(٣) العسكرى ، أبو هلال / الصناعتين / ت: على محمدا البجاوى – محمد أبو الفضل/ الناشر: عيسى البابى الحلبى / القاهرة / ١٣٧١ه-١٩٥٢م /ط١/ صـ٤١٩

"إنما يعشق المنايا من الأقـ وام من كان عاشقا للمعالى
وكذلك الرماح أول ما يكـ ن منهن فى الحروب الموالى"(١)

أما فى قوله تعالى {كَـذلكَ لنَصْـرِفَ عَنـهُ السُّـوءَ والفَحْشـاءَ) (يوسف/٢٤) نلاحظ أن اسم الإشارة لايقع على الحجج المندمجة كما فى الشاهدين السابقين.

لأن الحجة هنا تشير إلى مشهد سلوكى غير منصوص عليه لفظا ؛ فالحجة هنا هى البرهان المذكور فى الآية، فى قوله تعالى {ولقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أنْ رَأى بُرهَانَ رَبِّهِ كَـذلِكَ} (يوسف/٢٤) حيث اختلف المفسرون فى هذا البرهان هل هو الصنم الذى تعبده امرأة العزيز، أم صورة يعقوب عليه السلام، أم تحذير جبريل عليه السلام.

(١) نفسه / صـ٤١٩/ لم يتوصل إلى صاحب الشعر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمـــــة

لعل من أهم النتائج التى خلصت إليها هذه الدراسة هى، أن القــرآن الكريم يحتوى على العديد من العوامل و الــروابط الحجاجيــة ؛ فالعوامــل تتصل بالبنية الكلية للنص، بينما تنتمى الروابط إلى البنية الداخليــة للــنص وما يتصل بها من الوظائف التركيبية والنحوية.

و العوامل الحجاجية فى النص القرآنى الكريم ، تنتمى إلى ما يسمى المناسبة المعنوية عند القدماء من علماء المناسبة ، والمناسبة المعنوية هى تلك المناسبة التى تشير إلى أشكال الترابط بين البنيات الكلية مثل التــرابط بين السور وبعضها البعض، أو ترابط مجموعة من الآيات مــع مجموعــة أخرى .

ومن العوامل الحجاجية فى القرآن الكريم اتصال سور خواتيم القرآن المبدوءة بالفعل (قل) مع بعضها البعض من خلال أســاليب متعــددة مثــل أسلوب المزاوجة بين النفى والإثبات وأسلوب البدء بــالتعميم ثــم الاتبــاع بالتخصيص و أسلوب التفصيل بعد الإجمال ، وأسلوب المضادة .

ومن العوامل الحجاجية أيضا اتصال فاتحة ســورة الأعــراف مــع خاتمتها من خلال أسلوبىّ الإيماء والتنظير، كذلك من العوامــل الحجاجيــة اتصال خواتيم الكتاب عبر السور المبدوءة بفعل الأمر (قل) بفاتحة الكتــاب من خلال تقنية الرد على مقول القول.

أما فيما يخص الروابط الحجاجية فى الــنص والتــى تمثلــت فــى مجموعة الأدوات النحوية التى تحولت بفعل السياق إلى أدوات حجاجيــة ، والتى جاءت فى صورة روابط مفردة، وروابط مركبة .

ومن الروابط الحجاجية المفردة: حرف اللام الوارد للتعليل الحجاجى، وحرف الواو الحجاجى فى الجمل المذيلة للآيات، والحرف الناسخ (إنّ) منفردا، الذى أفاد معنى حجاجيا كذلك.

ومن المركبات الحجاجية ، المركبات الحجاجية الفعلية مثل: الحرف الناسخ (أنّ) المتصل بالفعل المضارع (أعلم)، إلى جانب حرف التحقيق (قد) المتصل بالفعل المضارع (نرى) والذى اتصل أيضا بالفعل الماضى (سمع) ، والمركبات الحجاجية الاسمية مثل: الحرف الناسخ (إن) المتصل بـ (ما) ، واسم الإشارة المتصل بحرف الجر الكاف (كذلك) واسم الإشارة المتصل بالجار والمجرور فى المركب الإضافى التعليلى(من أجل ذلك).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- الإفريقى، جمال الدين بن منظور/ لسان العرب/ بيروت، دار صادر/١٣٠٠هـ.
٣- الألوسى ، محمود بن عبدالله / روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى /ت: على عبدالبارى/ دار الكتب العلمية/ بيروت / ١٤١٥ هـ/ ط١.
٤- الأندلسى، أبوحيان محمد بن يوسف / البحر المحيط فى التفسير/ ت: عادل أحمد- على معوض / دار الكتب العلمية/ بيروت / ١٤١٣هـ-١٩٩٣م / ط١.
٥- البخارى، أبو عبد الله محمدا بن إسماعيل / الجامع المسند الصحيح / ت: مركز البحوث وتقنية المعلومات / دار التأصيل / القاهرة /١٤٣٣ه – ٢٠١٢م / ط١ .
٦- البقاعى، إبراهيم بن عمر/ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور/ دار الكتاب الإسلامى/ القاهرة/ ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م/ ط١.
٧- الجرجانى، الشريف/ معجم التعريفات/ت: صديق المنشاوى/ دارالفضيلة/ القاهرة / ٢٠٠٤م / ط٣.
٨- الجرجانى ، عبدالقاهر / دلائل الإعجاز / ت: محمودمحمد شاكر / مكتبة الخانجى / القاهرة / ١٤١٣ه-١٩٩٢م / ط٣.
٩- الرازى، فخر الدين/ التفسيرالكبير / دار الفكر / بيروت/ ١٩٨١م – ١٤٠١ هـ، ط١
١٠- ابن سينا / الإشارات والتنبيهات/ ت. د.سليمان دنيا/ دار المعارف/ القاهرة/ ط٣/ د.ت.
١١- السيوطى، جلال الدين/ الإتقان فى علوم القرآن/ دار الفكر/ بيروت /١٩٧٩م/ ط١.
١٢- صولة ، عبدالله / الحجاج فى القرآن/ دار الفارابى/ بيروت/ ٢٠٠٧م / ط٢.

١٣- العسكرى ، أبوهلال / الصناعتين / ت: على محمد البجاوى –محمد أبو الفضل / الناشر عيسى البابى الحلبى / القاهرة / ١٣٧١ه-١٩٥٢م / ط١.
١٤- ابن عطية ، عبدالحق بن غالب / المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز / ت:عبدالسلام عبدالشافى/ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢٢ه-٢٠٠٢م/ط١
١٥- العلوى ، حمزة بن يحيى / الطراز/ ت:عبد الحميد هنداوى/ المكتبة العصرية/ بيروت/ ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م/ ط١.
١٦- غبار، مليكة / الحجاج فى درس الفلسفة/ دار افريقيا الشرق/ المغرب/ ٢٠٠٦م/ ط١.
١٧- الغرناطى، أحمد بن إبراهيم بن الزبير/ البرهان فى ترتيب سور القرآن/ ت: سعيد بن جمعة الفلاح / دار ابن الجوزى / الرياض / ١٤٢٨ه-٢٠٠٨م/ ط١
١٨- القرطبى ، محمد بن أحمد الأنصارى / الجامع لأحكام القرآن الكريم / ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركى / مؤسسة الرسالة / الرياض / ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م/ ط١
١٩- الكاتب، ابن وهب/ البرهان فى وجوه البيان/ ت:حفنى محمد شرف/ مكتبة الشباب / القاهرة/ ١٩٦٨م/ ط١.
٢٠- ابن كثير ، الحافظ إسماعيل الدمشقى / تفسير القرآن العظيم / دار التقوى / القاهرة / ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م / ط١.
٢١- المبخوت ، شكرى/ الحجاج فى اللغة / ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم / إشراف حمادى صمود / منوبة تونس / مطبوعات كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية /١٩٨٨ م / ط١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٨٩٢٧
٢.	Abstract	٨٩٢٨
٣.	المقدمة	٨٩٢٩
٤.	العوامل والروابط الحجاجية فى القرآن الكريم	٨٩٣٤
٥.	أولا: العوامل الحجاجية	٨٩٣٥
٦.	العوامل الحجاجية فى القرآن الكريم :	٨٩٣٧
٧.	العامل الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر (قل)	٨٩٣٨
٨.	العامل الحجاجى بين فاتحة سورة الأعراف وخاتمتها	٨٩٤٣
٩.	العامل الحجاجى بين السور المبدوءة بفعل الأمر(قل) وسورة الفاتحة	٨٩٤٦
١٠.	خاتمـــــة	٨٩٦٨
١١.	قائمة المصادر والمراجع	٨٩٧٠
١٢.	فهرس الموضوعات	٨٩٧٢

تم بحمد الله